لبنان والمقاومة

خلال الايام العشرة التي مرت على العدوان الاسرائيلي على العرقوب ، برزت ظاهرتان متناقضتان في المظهر ، متفقتان في الجوهر ، هما ظاهرة التضليل الاعلامي من جهة والتضليل الانهزامي من جهة اخرى

معركة العرقوب

بين التضخيم الاعلامي والتضليل الانهزامي

فالتضليل الاعلامي بما يحمله من مبالغة في كثير من الاحيان ، ومن حديث عن معارك وهمية في بعض الاحيان ، ومن تضخيم لبعض الادوار وتجاهل للبعض الاخر ، لا بد وان يؤدي مع الوقت ، ومع انكشاف حقيقة الامور ، الى فقدان ثقة الجماهير وبالتالي الى ياسها ، اي الى النتيجة نفسها التي يوصل اليها الاستسلام للتضليل الانهزامي الذي يحاول ان يضخم مظاهر اللامقاومة ، وان ينكر البطولات الحقيقية التي شهدتها المعركة ، وان يتجاهل مظاهر الصمود التي تجلت خلال صد العدوان ...

وكما يستفيد التضليل الاعلامي من التضليل الانهزامي بحيث يصور كل قول صريح للحقيقة لم يجار المبالغات ، والتضخيم ، على انه انجرار مع منطق الانهزاميين واليائسين والحاقدين ، فان التضليل الانهزامي هو الاخر يستفيد كل الفائدة من التضليل الاعلامي اذ يسهل عليه انكار كل حقائق الصمود والبطولة تحت ستار الحديث عن مبالغات واوهام التضليل الاعلامي .

واذا كان التضليل الاعلامي يقصد بالاساس الترويج للجهات التي تقوم به ، فان التضليل الانهزامي يقصد ايضا بالنهاية تبرير انهزامية الجهات المروجة له تحت ستار « ما في حد احسن من حد» .

على ان خطورة التضليل الاعلامي تتمثل بالدرجة الاولى في خلق نوع من الرضى المصطنع على النفس ، واغلاق باب النقد اغلاقا محكما ، ومنع تلمس الاخطاء التي ارتكبت ، وبالتالي منع اي تطور جدي وحقيقي في الوضع الراهن باتجاه المزيد من المناعة والقدرة والكفاءة .

وبالمقابل تتجلى خطورة التضليل الانهزامي في انه يفتح الطريق واسعا امام استخلاص النتائج الانهزامية التي تجد الكثيرين من ساسة لبنان وقادته متحمسين لها .

فاذا لم يقاوم الفدائيون . ولم يتحرك الجيش ، ولم تساند الجيوش العربية . فلماذا نقف اذن في وجه دعوات التحييد والتدويل ، ولا نقبل بالبوليس الدولي !

ان التضليل الانهزامي مهما كانت نوايا القائلين به ، يسلم رأس الوطنية اللبنانية الى اعداء الشعب باسم الوطنية وباسم الدفاع عن الوطن ...

ان قول الحقيقة بما فيه من حسم لكل تضليل ، يقضي بالضرورة على التضليل الاعلامي ، والتضليل الانهزامي في آن واحد ...

وقول الحقيقة وان كان يحمل بعض السلبيات ، الا انه في محصلته النهائية مسالة ايجابية تعمق الثقة بالثورة، وتخلق انقشاعا في الرؤيا،وتساعد على استخلاص الدروس والعبر المفيدة من المعركة ...

والمعارك في كل الثورات ليست بنتيجتها المباشرة ، وانما بنتائجها البعيدة والتي يدخل فيها فهم الثورة للمعركة ، واستفادتها من دروسها ، وتحويل جوانب الهزيمة فيها الى انتصارات .

وقول الحقيقة ينصب بالدرجة الاولى على الاجابة على السؤال التالي :

هل كانت هناك مقاومة ؟!

ان هذا السؤال هو اساسي في نظر المواطن العربي الذي يهمه اولا ان يعرف اذا كان جيش العدو قد لقي مقاومة جدية ام لم يلق ...

وهذا السؤال هو الذي ضاع الجواب الحقيقي عليه بين زحمة تهافت الاجهزة الاعلامية على اقتناص ثمرات المعركة كل واحد منها لحسابه الخاص ، وبين نعيق الانهزاميين الذين فقدوا الامل في جني الثمر لحسابهم فصمموا على حرمان الجميع من جنيه .

التضليل الاعلامي ضخم في غمرة الدعاية لنفسه ، والمسايرة للاخرين ، من عمليات مقاومة العدو الى الدرجة التي جعلته غير قادر على تفسير واقع الاحتلال الاسرائيلي لعدد من قرى العرقوب ومكوثه فيها اكثر من يوم كامل ، كما جعلته غير قادر ان يفسر للمقاتلين انفسهم اسباب اوامر التراجع والانسحاب الى المرتفعات التي صدرت اليهم ...

والتضليل الانهزامي بالمقابل قد قلل في غمرة التبرير لنفسه ، والحماسة لتشويه الاخرين ، من عمليات المقاومة هذه الى الدرجة التي جعلته هو ايضا عاجزا عن تفسير واقع الخسائر في جنود العدو والياته والتي اعترف بها العدو نفسه ، كما جعلته عاجزا عن ان يشرح للجماهير اسباب سقوط عدد من الفدائيين شهداء في معارك مواجهة بطولية .

اما الحقيقة التي تنصف الجميع ففيها اشارات مضيئة تدل على وجود روح مقاومة بطولية في المعارك ، وان كان فيها اشارات قاتمة تدل على غياب الاستعداد الجدي لهذه المقاومة :

ولنبدا من الجانب القاتم من الحقيقة .. ولنعترف :

اولا : لم تكن هناك قيادة عسكرية حقيقية موحدة لجميع التنظيمات تخطط لهذه المقاومة ، تستفيد من كل طاقاتها ، وتوزع كل ادوارها ..

ان هذه الحقيقة المرة يجب ان تعرف بكل وضوح وبدون مداورة او خجل ، ولا تنفع فيها الاعذار والتبريرات التي تحاول ربط وجود هذه القيادة بموضوع الوحدة بين المنظمات الفدائية بشكل عام .

ولنعترف بكل صراحة بان القسم الاكبر من الوجود الفدائي في جنوب لبنان متمثل بقوات العاصفة والصاعقة وجيش التحرير والجبهة الديمقراطية والتي تعمل جميعها في اكثر من اطار للوحدة الوطنية سواء في منظمة التحرير الفلسطينية ام في قيادة الكفاح المسلح التي تضم ايضا بالاضافة الى التنظيمات الاربع المذكورة كافة التنظيمات الاخرى باستثناء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، او اخيرا في القيادة الموحدة التي تضم كافةالتنظيمات دون استثناء .

ولقد تجلت الى امد بعيد سطحية الخلافات واصطناعيتها مع ارتفاع لهيب المعركة اذ شعر جميع الفدائيين الشعور العفوي الصادق والحقيقي بانهم جميعا ابناء تنظيم واحد ، وان كل ما قيل عن خلافات ليس اكثر من نتاج الانانيات والعقليات التي تفكر كيف تأخذ من معركة التحرير بدلا من ان تفكر كيف تعطي لهذه المعركة .

ففتح فتحت كافة مستودعاتها لكافة المقاتلين وابناء القرى ياخذون منها حاجاتهم للمعركة .

ومقاتلوا الجبهة الشعبية الديمقراطية انضووا خلال المعركة تحت قيادة جبهة التحرير العربية بعد ان اضطر قائدهم الى الانسحاب .

وفي قاعدة الخربية اجتمع مقاتلو التنظيمات الثلاث الموجودة هناك وهي فتح والجبهة الشعبية وجبهة التحرير العربية وتقاسموا الادوار في معركة المواجهة ، واستطاعوا بفضل هذا الشكل البدائي والسريع من التنسيق ان يخوضوا معركة جدية مع قوات العدو وان يعرقلوا تقدمها بعض الوقت وان يكبدوها خسائر جمة .

ان مظاهر الإلتحام الجزئية بين مقاتلي التنظيمات المختلفة قد اكدت من جهة ان مد الخلاف السياسي والعقائدي الى المجال العسكري ليس له اي مبرر .

وان كنا هنا لا نريد ان نحمل منظمة دون الاخرى اعباء غياب هذه القيادة ، الا اننا نقول ان غيابها لا يمكن ان نجد له عذرا واحدا مهما قيل من اعذار .

ثانيا : لقد قاد غياب القيادة العسكرية الموحدة الى غياب الخطة العسكرية الموحدة لمواجهة كافة الاحتمالات .

لقد واجه الفدائيون التقدم الاسرائيلي بدون اية خطة جدية على الاطلاق تحدد لهم مراكز انتشارهم ، وطرق مخابئهم ، واماكن كمائنهم ، والمواضع التي يجب ان يقطعوا الطريق فيها .

ان غياب هذه الخطة هو الذي جعل المواجهة حيث تمت مواجهة عفوية تنقصها الفعالية المطلوبة، وهو الذي جعل الانسحاب عشوائيا بشكل منع العديد من المنظمات من احصاء عناصرها والتعرف على المفقودين وحتى الشهداء منهم ، كما ان غياب هذه الخطة هو الذي جعل الانسحاب حين تم لا يرافقه اي اجراء يستهدف توفير الاسلحة والذخائر حتى لا يغنمها العدو ، وتفجير الجسور والعبارات لتاخير تقدمه .

وحتى المبادرة الوحيدة التي تمثلت بنسف الطريق المؤدي الى كفرحمام